

إسهام الكتاب المطبوع في نشر ثقافة التواصل الثقافي بين شعبي وادي النيل خلال القرن العشرين.

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - قسم التاريخ
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

أ. د. الريح حمد النيل أحمد الليث

المستخلص:

لا شك أن لكل شعب ثقافة يعتز بها ويعتد ويباهي بها الآخرين ويفتخر أياً كانت نظرة أولئك لثقافته وموروثه الثقافي. فكان للكتاب المطبوع التأثير العظيم في نشر ثقافة التواصل الثقافي بين شعبي وادي النيل منذ بداية القرن العشرين ، فمن خلاله تعرف كلاهما بتفاوت في درجة التعرف على الآخر، فتوثقت الصلات الثقافية وقويت العلاقات الأخوية بينهما. تمثل الهدف من الدراسة في إبراز الدور الذي لعبه الكتاب المطبوع في نشر ثقافة التواصل الثقافي بين مصر والسودان، إعطاء صورة متكاملة لما كان عليه التواصل الثقافي بين الشعبين منذ الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، تسليط الضوء على دور الكتاب المطبوع في الإسهام في نشر ثقافة التواصل الحضاري بين شعبي وادي النيل، واستعراض آراء بعض الكتاب من البلدين عن التواصل الحضاري الثقافي وإبراز إسهام الكتاب في التواصل الحضاري بين شعبي وادي النيل من خلال تقديم نماذج مختارة لكتب وكتاب مصريين وسودانيين. اتبعت في إعداد البحث منهج البحث التاريخي والتحليل والمقارنة في معالجة ما توفر من معلومات عن الموضوع في بعض المراجع الورقية وما توفر في الشبكة العنكبوتية. توصلت إلى عدد من النتائج أهمها أن الكتاب المطبوع لعب أدواراً حاسمة في تقوية أواصر العلاقة الأخوية بين الشعبين الشقيقين من خلال تقوية قنوات التواصل الثقافي وأن الكتاب المصري أقرب إلى مزاج القارئ وذوقه وطبعه لأنه استطاع أن يعبر بوضوح عن كثير من الحاجات الثقافية التي يطلبها القارئ أو المتلقي السوداني وأن الكتب السودانية الموجودة بالمكتبات المصرية لا يمكن مقارنتها من حيث عددها بعدد أية كتب مصرية موجودة في بضعة رفوف مكتبة من المكتبات السودانية أو مكتبة منزلية صغيرة.

الكلمات المفتاحية: الكتاب المطبوع- التواصل الثقافي- شعبي وادي النيل- القرن العشرين.

“The contribution of the printed book in spreading the culture of communication between the people of the Nile Valley during the twentieth century

Prof.El raiah Hamadelnil Ahmed Allaith

Abstract:

There is no doubt that every nation has a culture that they cherish and brag about and are proud of, regardless of their view of their culture

and civilizational heritage. The printed book had a great influence in spreading the culture of cultural communication between the peoples of the Nile Valley since the beginning of the twentieth century. Through it, both of them got acquainted with the difference in the degree of knowledge of the other, and the brotherly relations between them were strengthened. The purpose of the study highlighting the role played by the printed book in spreading the culture communication between Egypt and Sudan, Giving an integrated view for the cultural communication between the two nation since the thirties and forties of the twentieth century, giving an integrated view for the cultural communication between the two nation since the thirties and forties of the twentieth century, Giving an integrated view for the cultural communication between the two nation since the thirties and forties of the twentieth century, Giving an integrated view for the cultural communication between the two nation since the thirties and forties of the twentieth century. Research methodology represented by historical research methodology, analysis and comparison, reliance on a availability information about the subject in some references and on the Internet. The most important results: the printed book played decisive roles in strengthening the fraternal relationship between the two brotherly nations by strengthening the channels of cultural communication, the Egyptian book is closer to the reader's mood, taste, and temperament; because he was able to clearly express many of the cultural needs required by the Sudanese reader or recipient, the Sudanese books found in Egyptian libraries cannot be compared in terms of their number with the number of any Egyptian books found on a few shelves in a Sudanese library or a small home library

مدخل:

ظل الإنسان ولقرون طويلة مضت يسجل ما يحدث له بطرق وأدوات بدائية بسيطة غير أن كثيرا مما سجله فقد ولم يطلع عليه أحد نتيجة لتضافر عوامل عديدة بعضها بفعل الطبيعة والآخر بسبب الانسان نفسه من ثم ضاع مخزون ضخم من الأخبار والقصص والروايات والافكار والثقافات الخاصة بذلك الانسان، وتقطعت نتيجة لذلك أوصال التواصل الثقافي بين الشعوب،

وظل الحال كذلك إلى أن ظهرت بواكير الطباعة باختراع الصيني (بي شينغ) عام 1401م الطباعة بالحروف متحركة والمنفصلة لم يستفد العالم منها كثيراً لكثرة حروف الهجاء الصينية.

وبعد أربعة قرون من اختراع (بي شينغ) شهدت الطباعة تطوراً سريعاً باختراع أنواع حديثة من آلات الطباعة عندما قام الألماني يوهانس غنزفلايش غوتنبيرغ (Johannes Gutenberg) عام 7441م أو نحو 0541م بتطوير علم الطباعة الذي اخترع في كوريا عام 4321م، باختراعه آلة الطباعة المعدنية بالأحرف المتحركة. تلا ذلك اختراع آلات طباعة أكثر تطوراً، فقام الألماني فريدرش كويننج عام 1181م باختراع آلة طباعة تعمل بالبخار زادت من كفاءة الطباعة وسرعتها فأدى ذلك إلى تسهيل حركة التواصل الثقافي بين الشعوب وزادت الرغبة في اختراع آلات طباعة أكثر تطوراً من سابقتها، فكان اختراع الأمريكي ريتشارد هيو (Richard Hoe) المطبعة الدوارة، وتمكن الأمريكي (وليم بولوك) عام 5681م من اختراع المطبعة الدوارة فائقة السرعة، كما تمكن (أوتما ماجنتيلر) من تسجيل براءة اختراع مطبعة الليثوتيب، وكذلك الأمريكي (تولبرت لانستون) الذي اخترع مطبعة المونوتيب عام 7881م. الجدير بالذكر أول حروف طباعة عربية ظهرت عام 8641م على يد (مارتن روث)، وظهرت أول مطبعة في مصر أثناء حملة نابليون عام 8971م وعرفت بمطبعة البروجاندا أي الدعاية وأول مطبعة ظهرت في السودان كانت مطبعة حجرية صغيرة وذلك عام 1381م... إلخ، ومما لاشك أن اختراع آلات الطباعة وتطورها زاد من زاد من أعداد الكتاب المطبوع ونشره على نطاق واسع وأسهم في اتساع دائرة التواصل الثقافي بين الشعوب.

الكتاب المطبوع:

إن الغاية الأساسية من وجود الكتاب والأدباء هي تقديم الأطروحات الأساسية في بنية المجتمع ووضع الحلول المناسبة لها، ولا شك في أنها مسؤولية عظيمة تقع على عاتق المفكرين والأدباء والمبدعين الذين قدر لهم أن يصنعوا تاريخ الأمة ويقفون وراء كل أداء قيمى وإنسانى واجتماعى لتحقيق التقدم والرقى في معراج السمو ومسالك الحضارة والتقدم إسعاداً للبشرية. إن الأمة العريقة العظيمة هي التي تحافظ على مبدعيتها في شتى المجالات الثقافية الأدبية والفكرية عبر أدبائها ومفكراتها الشموع المضيئة، أصحاب العطاء المستمر النابع من الذات الذي يضمه الكتاب. هكذا الكتاب نقطة ارتكاز بالغة الأهمية للفهم والتطور والانتقال إلى مستويات حياة أفضل وتحقيق التواصل بين الشعوب. فهو نافذة حوار لم يتوقف ونشراً للنور وإثراءً للعقل والوجدان، وتوطيد عرى التوحد الفكرى داخل الأمة الواحدة والتعاون المعرفى بين الأمم والشعوب⁽¹⁾.

الكتاب والتواصل مع الآخر:

منذ أن دبت الحياة على سطح هذا الكوكب والإنسان مشغول بكيفية التواصل مع الآخر، وعودة الإنسان البدائي الذي أعمل عقله وصنع لنفسه طرقاً للحوار مع الآخر بداية من إصدار أصوات، ليست لها ماهية وترديدها بينه وبين ذويه، إلى الرسم على جدران الكهوف والحفر على

الصخور، والنقش على الرقاع والجلود. وأخذت هذه الكيفيات تتطور وتتقدم مع مرور الأزمان إلى لغات عدة تتداول بين البشر. فمن الرسم على جدران الكهوف إلى علوم وفنون بصرية أصبحت من فنون الحياة تدرس وتفرد لها أرقى القاعات حول العالم، ليستمتع بها الراغبون في التعرف عليها من ذوي الذائقة المهتمة بالفن المرئي والمشاهد. ومن النقش على الرقاع والجلود إلى الحرف تجمع بطريقة دفتي كتاب، أو تتناقل بوسائل تكنولوجية حديثة عبر فضاءات العالم ليستقي منها القراء الباحثون في شتي المعارف زادهم دون بذل جهد أو مشقة.

هذه المقدمة تعطينا الدليل على أن الحضارات لم تقم إلا بإبداعات الشعوب، وأن العلم والتنوير لم ينتجا إلا من خلال التدبر وإعمال العقل فقد قيل: (العقل سلطان وله جنود، فرأس جنوده التجربة، ثم التمييز، ثم الفكر، ثم الحظ، ثم سرور الروح، إذ لا ثبات للجسم إلا بالروح، والروح سراج.. ونوره العقل، فبالتحاور بين العقول والمناقشة الإيجابية على اختلاف تنوعاتها تصبو جميعاً في النهاية إلى ما ينفع العالم أجمع⁽²⁾).

التواصل مفهومه ومعناه:

التواصل يقابله المصطلح الاجنبي continuity وهو يعني فيما يعني الاستمرارية ويتضمن مفهوماً آخر يتلامس معه وهو مفهوم الاتصال communication... والشئ ذاته بالنسبة لمصطلح اللاتواصل discontinuity والذي يعني الانقطاع والانفصال معاً⁽³⁾.

لقد جاء في لسان العرب ما يلي⁽⁴⁾:

«وَصَلَ: وصلْتُ الشيء وصلّاً وصلّة، والوصلُ ضدُّ الهُجران، الوَصْلُ خلافُ الفَصْلِ، وَصَلَ الشيءَ بالشيءِ يَصِلُهُ وصلّاً وصلّة... وَجَدْتُ كَذَلِكَ بَلَغَ الشيءَ بُلُوغاً وَبَلَاغاً وَصَلَ وانتهى وأبلغه إبلاغاً وَبَلَغَ تَبْلِيغاً وَيُبْلِغُ بالشيءِ أي وَصَلَ الي مُرَادِهِ وَبَلَغَ مَبْلَغٌ فُلَانٌ وَمَبْلَغُهُ وَالبَلَاغُ ما بَلَغَكَ. وقد جاء في القرآن الكريم: «هذا بلاغ للناس لينذروا به» والبلوغ وقت الكتاب على الانسان والتكليف إذ بلغ أجلهن أي قاربته وبلغ النبت أي انتهى»⁽⁵⁾.

إن الرغبة في التواصل هي فعل يتأسس أولاً وقبل كل شيء على الفهم والإحساس بالآخر في إطار تصوري موضوعي للعلاقات البشرية لا يكتفي بالتركيز على البعد الاقتصادي الاجتماعي بل يتعدى ذلك نحو الكشف عما في العلاقات من معني وجود وتمط حياة بالمعني العميق والكوني للكلمة، ان التواصل وإن كان ينطلق من استراتيجية تحقيق الآنية والتأثير في الغير إلا أنه يهدف في العمق الى تكوين فضاء عمومي يكون بمثابة مسطح تنبني فوقه العلاقات القائمة على الاختلاف والحوار وسيادة روح الديمقراطية والتسامح.

التواصل الثقافي:

المراد بالتواصل الثقافي تبادل الثقافات الرئيسية أو فروعها وأنساقها، والاتصال ببعضها البعض تحاوراً وتعارفاً وتلاقحاً. وقد يكون التواصل تواصلاً أفقياً يتم بين ثقافات مترامنة أو بين اقاليم ذات ثقافة معينة، وتواصلاً رأسياً يتم بين الأجيال المتعاقبة لثقافة ما، أو بين فئاتها أو طبقاتها المترابطة اجتماعياً. وللتواصل الثقافي بالمعنى الأنف الذكر أهمية كبيرة سواء بالنسبة للثقافة أو

لأهلها. إذ يعزز التواصل الثقافي نمو الثقافة وتطورها وتجديدها من خلال تبادل الأفكار وتشجيع الإبداع وخاصة التواصل الثقافي الرأسي الذي يؤمن التراكم أو تواصل البناء الثقافي ويتيح تأصيل ما هو جديد ومبتكر تأكيداً للتناسق الثقافي. ومن خلال النمو والتجديد والتأصيل تتمكن الثقافة من مقاومة عوامل الفناء والزوال وتنامي قدرتها على البقاء والاستمرار من خلال احتفاظها بالقدرة على الإيفاء باحتياجات أهلها. ويعود التواصل الثقافي على المجتمع بفوائد عدة يمكن أن نشير منها إلى أن التواصل الثقافي يعزز المشترك الثقافي بين الأطراف المشاركة، وهو ما يساهم في تعزيز تماسك المجتمع ووحدته وتقارب المجتمعات المتقاربة ثقافياً وتعايشها. كذلك يعزز البعد أو المحتوى التواصل في الثقافات المعنية. وكلما كانت الثقافة ذات طبيعة تواصلية كلما شجعت أهلها على التواصل مع بعضهم البعض في الجوانب غير الثقافية أيضاً فيتعزز بذلك التواصل العام (التبادل الاقتصادي والتجاري والسياحي والاجتماعي...الخ) على نحو تتعاظم معه استفادة المجتمع، إذا ما قدر للتواصل الثقافي أن يكون كافياً لإحداث تغيير ثقافي⁽⁶⁾.

الثقافة والتعدد الثقافي:

يقول الدكتور عبدالمجيد عابدين عن الثقافة: فالثقافة مرهونة بالعصر، فكلما انتقلنا إلى عصر جديد، تطلبنا نوعاً جديداً من الثقافة يتناسب مع العلم الجديد الذي يظهر في ذلك العصر، يضيفه المثقف إلى معلوماته السابقة، فيربط بذلك بين الماضي والحاضر ويجمع بين معرفة أمته وبيئته، وبين معارف الأمم الأخرى وبيئاتها⁽⁷⁾.

أما التعدد والتنوع الثقافي فيرمز إلى مفهوم ظهر مؤخراً وما زال في طور التشكل والتكون. ويستنتج من الأدبيات ذات الصلة إن هذا المفهوم، بشكل عام، يتمحور حول التأكيد على إيجابية التنوع الثقافي وأهمية استمراره وعلى حق مختلف (أنواع) الثقافات في حفظ كيائها واحترام أوجه اختلافها وتميزها وحماية صناعاتها (الثقافية) وضرورة تقنين هذا الحق دولياً. ومن الواضح أنه مع إن هذا المفهوم ينبني على، تقريباً، ذات المدلول اللغوي لعبارة التنوع الثقافي المشار إليه آنفاً إلا أنه يتجاوز الطابع الوصفي لذلك المدلول، والذي يكاد يكون محل إجماع لكونه يعكس واقعاً قائماً، ويضفي عليه بعداً تقييمياً وتقنياً يثير خلافاً (نظرياً) ما يصطدم بالواقع الذي شهد ويشهد محاولات وسياسات عملية استهدفت إضعاف أو إقصاء أو محو ثقافات معينة⁽⁸⁾. والتعدد والتنوع الثقافي سنه كونية وضرورة اجتماعية وتاريخية وضمان للنهوض الإنساني ولارتقاء الحياة. فإذا سلمنا بوجود التعددية وبكونها (الطور الأرقى في سلم تقدم الإنسان). فلا بد من التسليم بوجود اختلافات وتناقضات وتباينات في الآراء والمعتقدات والمصالح والمرجعيات الإيديولوجية. فقد أصبح الإقرار بالتنوع الثقافي وحمايته قانوناً دولياً حيث جاء في المادة الأولى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي أن لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامها والمحافظة عليها وإن من حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته، وإن جميع الثقافات تشكل، بما فيها من تنوع خصب وتأثير متبادل، جزءاً من التراث الذي يشترك في ملكيته البشر جميعاً. والإنسان مدني بطبعه لذلك لا بد له بالالتقاء بالثقافات الأخرى والاحتكاك معها فيؤثر ويتأثر بثقافة الآخر مع المحافظة على خصوصيته.

لقد كانت مصر أول دولة في العالم القديم عرفت مبادئ الكتابة وابتدعت الحروف والعلامات الهيروغليفية، وكان المصريون القدماء حريصون على تدوين وتسجيل تاريخهم والأحداث التي صنعوها وعاشوها، وبهذه الخطوة الحضارية العظيمة انتقلت مصر من عصور ما قبل التاريخ وأصبحت أول دولة في العالم لها تاريخ مكتوب⁽⁹⁾.

التواصل الثقافي بين شعبي وادي النيل:

الثقافة هي العمود الفقري بين شعبي وادي النيل فالعلاقات الأزلية بين السودان ومصر تركز على الثقافة التي تتغلغل في جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ أن الارتباط الأزلي بين الشعبين تغذية الثقافة التي تتغلغل في شتى مناحي الحياة⁽¹⁰⁾. دور اللغة في التواصل الثقافي:

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستخدم لغة رمزية في التعامل والتعاون مع أبناء مجتمعه وبواسطتها ينقل خبراته وتراثه العقلي من جيل إلى جيل ومن هنا جاء تعريف الإنسان على أنه مخلوق ذو لغة رمزية، وهذه اللغة تعينه على تناول الموجودات من حوله بطريقة تختلف عن تناول الحيوان، ذلك أن الحيوان يتناول الأشياء بحواسه أما الإنسان فيتناولها بلغته وفكره فضلاً عن حواسه لذلك فإن تناول الإنسان يتصف بالإحاطة والشمول. واللغة هبة طبيعية خص الله تعالى بها الإنسان وميزه بها عن سائر ضروب الحيوان لتكون سبيلاً إلى عبادة الله وإلى معرفة خلقه. وهي شكل متميز من أشكال السلوك الإنساني إذ لم يعرف في تاريخ الإنسانية مجتمع بشري لم تكن له لغة خاصة تربط بين أبنائه يتبادلون بها المنافع، فاللغة أداة اجتماعية يستخدمها المجتمع ليرمز بها لعناصر معيشتة وطرق سلوكه وهي أكثر طرق الاتصال الإنساني استخداماً فهي رسالة متبادلة بين مرسل ومستقبل كلاهما من البشر. واللغة باعتبارها نظام رمزي تعد لوناً من ألوان الثقافة فالإنسان له قدره على استعمال الرمز، وتطور الثقافة مرتبط ارتباط وثيقاً بقدرة الإنسان على استخدام الرموز اللغوية. وكان للغة أيضاً فضل تطور الثقافة هذا التطور السريع الذي نلاحظه فتعمل اللغة على كسب المعرفة وتنمية التجارب والخبرات الإنسانية فهي أداة الاستمرار الثقافي عبر القرون ووسيلة أحياء تجارب الماضي ونقلها عبر الأجيال المتلاحقة وبذلك يستطيع الجيل اللاحق أن يبدأ من حيث انتهى الجيل السابق بدل أن يعيد اكتشاف الخبر وتعلمها من البداية.

مفهوم اللغة وتطورها:

اللغة كلام البشر المنطوق أو المكتوب، وهي نظام الاتصال الأكثر شيوعاً بين البشر؛ لأنها تتيح للناس التحدث بعضهم مع بعض والتعبير نطقاً أو كتابةً عن أفكارهم وآرائهم. وقد ورد في كتاب الله الكريم ما يفيد أن الله علم الإنسان البيان، قال عز وجل: {الرحمن* علم القرآن* خلق الإنسان* علمه البيان}⁽¹¹⁾. ويمكن استخدام كلمة لغة بصورة غير محددة لتدل على أي نظام للاتصال كإشارات المرور الضوئية أو الإشارات الدخانية للهند، إلا أن أصل الكلمة يبين معناها الأساسي.

اللغة إذن وسيلة أساسية من وسائل الاتصالات الاجتماعية وخاصة في التعبير عن الذات وفهم الآخرين ووسيلة مهمة من وسائل النمو العقلي والمعرفي والانفعالي وهي نظام من الرموز

المتفق عليها والتي تمثل المعاني المختلفة ويطلق عليها (Semantic) والتي تسير وفق قواعد معينة تسمى (grommet structure) ⁽¹²⁾.

دور اللغة في التواصل بين الشعبين:

اللغة بصفة عامة تلعب دوراً هاماً في صياغة عقلية الفرد والمجتمع - وهو ما ذهب إليه إدوارد ساير Edward Sapir من أن « اللغة تنظم تجربة المجتمع »، وهي التي تصوغ عالمه وواقعه الحقيقي، وأن « كل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم ». وذهب ساير وورف إلى أن اللغة « أساس تشكيل الأفكار، ودليل على النشاط الفكري للفرد »، وأن الأمر ليتجاوز ذلك إلى المجتمع ذاته، إذ نجد لها الأساس الذي تبني عليه الهوية الاجتماعية علاوة على الهوية الفردية». وينطوي المقال أيضاً على إشارات ودلالات تُبرز ترابط شعوب تلك الأمم وثقافتها، فتكون بمثابة جامعاً تواصلياً يؤلف بين البشر، ويهبهم شعوراً بالانتماء إلى الإنسانية العالمية Humanitarian Global ⁽¹³⁾. ولأن اللغة هي مفتاح الثقافة ولتعارف الأمم وإدراكها لحضارات وثقافات وتفكير الشعوب. فقد نسجت اعتبارات الجغرافيا ومسارات التاريخ وحركة البشر علاقة خاصة بين مصر والسودان، على نحو ربما لم يتيسر لشعبين آخرين في المنطقة. إذ أن هناك علاقة قوية بين الشعبين، فهناك صلة النسب والمصاهرة والدم بينهما، ومن الملاحظ أن السواد الأعظم من أهالي أسوان ترجع جذورهم إلى السودان ⁽¹⁴⁾. ولا بد أن نؤكد على أن تلك الألفاظ المشتركة تعمل على توكيد التفاهم المرجو بين الشعوب لتكون بارقة أمل لمستقبل آمن، لا تُنتهك فيه كرامة الإنسان، ولا تُهدر حقوقه، ولا يطغى فيه القوي على الضعيف ⁽¹⁵⁾، وهو مكمّن قوة التواصل الثقافي بين الشعبين وتماسكه وعدم استجابته لكل ما من شأنه تعكير صفو العلاقات الأزلية بينهما.

وجه آخر من أوجه التواصل الثقافي:

وفي وجه آخر من أوجه التواصل الثقافي والاعتراف بحق من شحذ فكره وبذل جهده ووقته للكتابة عن السودان، أقام مجمع اللغة العربية بالخرطوم منتدى عن «الكتاب المصريين الذين كتبوا عن الأدباء السودانيين» ترأسه بروفيسور علي أحمد بابكر رئيس المجمع بحضور المستشار الثقافي لسفارة جمهورية مصر العربية الأستاذ أسامة جابر الذي بدأ حديثه بالقول إن العلاقة بين مصر والسودان علاقة تاريخية، فكلاهما له تاريخ واحد وترتبط بينهما مصالح مشتركة، وتمني السفير أن تعمق جذور العلاقة الأدبية بين الكتاب المصريين والسودانيين بصورة أكبر. بروفيسور عبد الله برجمة تحدث عن تاريخ مصر والسودان بأنهما شركاء في وادي النيل وذكر بأنه أيام دراسة في مصر قد اتحد كثير من السياسيين السودانيين والمصريين مع بعضهم في كثير من المواقف أثناء الاستقلال، وأن كثيراً من الطلاب السودانيين إبان دراستهم في مصر كانوا من المداومين على حضور ندوة العقاد التي كانت تعقد كل جمعة.

تحدث بروفيسور حسن بشير الصديق عن تجربة التداخل الإبداعي ودراسته بين الأدباء السودانيين والمصريين، وذكر أن الكثير من الأدباء المصريين منهم عباس محمود العقاد، عبد المجيد عابدين، أحمد الحوفي، إحسان عباس، مصطفى هدارة، عبدو بدوي، طه حسين،

ألفوا الكثير من الكتب التي تتحدث عن السودان وأدبه منها تيارات الشعر المعاصر في السودان 1972م، لمصطفى هدارة. وكتاب الشعر في السودان لعبدو بدوي 1981م، ومن مؤلفات غير السودانين كتاب حليم اليازجي «السودان والحركة الأدبية» وذكر أن الأستاذين إبراهيم ناجي ومظهر سعيد أشادا بشعر التجاني يوسف بشير وتقديمه في نادي القصة بالقاهرة، وفيه يقول إبراهيم ناجي: إذا كانت انجلترا تعد شكسبير من مفاخرها، فإن عبقرية التجاني فخر للسودان. وأضاف حسن أن علي الجارم قد أثني على شعر احمد محمد صالح وحديثه عن العروبة.

بروفيسور إبراهيم الحارثي ابتدر حديثه بالقول إن الثقافة والعلم أقوى رباط بالنسبة للإنسان، وهذا ما بينته في كتاب «الرباط الثقافي بين مصر والسودان» وأضاف أن العقاد كان محباً للسودان والسودانيين، وقد أكد ذلك بزيارته للسودان والتي كانت مؤثرة جداً على الشعب السوداني. واصل الحارثي القول: بأننا استفدنا كثيراً من الأساتذة المصريين وتأثرنا بهم، ذكروا أن نقد هدارة لعبد الله الطيب يعد نوعاً من المنافسة. بدوره أكد الدكتور عبد اللطيف سعيد أن العقاد تحدث عن الدوبيت السوداني، وذكر أن مصر فتحت استوديوهاتها للفنانين السودانيين فكان دورها الكبير في توثيق أغاني الحقيقة، كما وقد زارت أم كلثوم السودان عام 1968م، وغنت للشاعر الهادي آدم.

الدكتور عبد الله حمدنا الله ذكر أن الأدباء المصريين كتبوا عن الأدباء السودانيين في مواضيع كثيرة ومتنوعة في الشعر-القصة-الرواية-الأدب الشعبي، وأن النقاد السودانيين عيال النقاد المصريين باعتبار أن ما يكتبه النقاد السودانيون يسير على النهج المصري، معبراً الدكتور عبد المجيد عابدين أكثر ناقد مصري أصل للنقد والأدب السوداني ومن ثم يعد عابدين مؤصل الدراسات الأدبية في السودان. ونوه إلى وجود كثير من التقريظ الواسع في كتابات الأدباء المصريين عن الأدباء السودانيين لحساسية السودانيين، ورأي حمدنا الله إن تلك الكتابات تحتاج إلى رؤية ناقدة بعيداً عن الحساسية لتُرى بوضعها الصحيح. وقد تخللت الندوة العديد من المداخلات التي أثرت النقاش حول كتابات الأدباء المصريين عن الكتاب السودانيين ما بين موافق ومعارض مما فتح الباب للدراسة والنقد في ذلك الاتجاه⁽¹⁶⁾.

نماذج التواصل:

يعد الدكتور عبدالمجيد عابدين واحداً من رموز نشر ثقافة التواصل الثقافي بين الشعبين في الفكر والأدب مُنذُ أن عُيِّن أستاذاً مساعداً بجامعة القاهرة فرع الخرطوم (جامعة النيلين حالياً) التي تُعد هي الأخرى صرحاً شامخاً من صُروح الإخوة الصديقة بين شعبي وادي النيل حيث ظهر اهتمام الدكتور عبدالمجيد عابدين بالسودان وأهله وثقافتهم قبل مجيئه للسودان فجادت قريحته بمؤلفات أثرت المكتبة السودانية علماً وفكراً ثاقباً وثقافة نيرة، فكتب عن شاعر الجمال المهرهف الحس التجاني يوسف بشير كتاباً بعنوان: التجاني شاعر الجمال ظهرت الطبعة الأولى منه 1951م، وكتاباً آخر عن تاريخ الثقافة في السودان، طبعته الأولى 1953م، وكتاب دراسات في تاريخ النيل

1961م، وكتاب من أصول اللهجات العربية في السودان، 1966م، وكتاب من الأدب الشعبي السوداني 1967م، وتوسع في تأليفه متجاوزاً حُدود السودان مؤلفاً كتاب: صور من وحدة الفكر العربي في أفريقيا 1967م⁽¹⁷⁾. وإذا كان هذا إنتاج عالم مصري واحد عن السودان منذ بداية الخمسينات من القرن العشرين، فهو دليل على أن الشأن الثقافي السوداني كان حاضراً في الساحة الثقافية في مصر وإن قل. فالعبرة ليست «بالكم وإنما بالكيف». فكم يا ترى من الطلاب في الجامعات السودانية والمكتبات العامة والخاصة ومكتبات الجامعات والمنازل ومن درس هذه الكتب أو أطلع عليها واقتناها في بلد ينضج حباً للثقافة والمثقفين. ومن النماذج الدكتور «محمد محي الدين عوض» و«دكتور ياسين محمد» في مؤلفيه قانون العمل المصري السوداني والتأمينات الاجتماعية في السودان واللذان عملاً في جامعة القاهرة فرع الخرطوم. و«إبراهيم باشا فوزي» في مؤلفه السودان بين يدي غوردون وكشنر.

أمثلة التواصل:

يعتبر الدكتور يونان لبيب رزق أمودجاً يحتذى للتواصل بين مصر والسودان. فقد درس يونان الإنسان، في كلية الآداب بجامعة عين شمس، التي اشتهرت برسوخها وتميزها، وحصل منها على درجتي الماجستير والدكتوراة عن تاريخ السودان المعاصر، الذي رحل إليه مقيماً فيه، باحثاً عن وثائق هذا البلد الذي ارتبط تاريخه بمصر، وارتبط تاريخ مصر به، فأصدر عن السودان ثلاثة كتب⁽¹⁸⁾.

عباس محمود العقاد:

من الكتب التي لعبت دوراً مشهوداً في نشر ثقافة التواصل الحضاري بين شعبي وادي النيل ما خطه يرّاع فريد زمانه «عباس محمود العقاد» من مؤلفات سادت الوسط الثقافي السوداني ولم تزل ولا يكاد يخلو منها بيت سوداني، وأشهرها على الإطلاق (العبقريات) التي خاطبت روح التدين في القارئ السوداني وألهبت فيه الإحساس المعرفي العميق بالنبي وخلفائه وعظماء الإسلام كعبقرية محمد وعبقرية الصديق وعمر وعثمان وعبقرية خالد بن الوليد. وعمر بن العاص ومؤلفة المشهور الصديقة بنت الصديق ورواية سارة وغيرها من الكتب. وقد تجلّى حبّ السودانيّين للعقاد وتقديرهم لمكانته الأدبية الرفيعة عند زيارته للسودان في يوليو 1942م، فوصفت أيامه التي أمضاها في السودان بأنها كلها كانت أعياد ثقافة وأدب حيث امتلأ وقت الجميع إما بالحديث عنه أو السعي إليه ولم تشهد دار الثقافة منذ إنشائها حشداً من المثقفين والمفكرين مثل الحشد الذي تجمع ليستمع للعقاد وهو يحاضر عن الثقافة⁽¹⁹⁾.

ما يعضد عمق التواصل بين الشعبين ورسوخ جذوره أن هذا الحب لم يتأثر يوماً بتقاطعات السياسة وصراع المصالح، بل أنه كلما كاد المشهد السياسي أن يبلغ مرحلة التآزم استنجد الشعبان في كلا البلدين بمخزونهما الضخم من العلاقات الثقافية لتذويب جليد العلاقات السياسية.

طه حسين:

من منا لم تجد كُتب عميد الأدب العربي إليه طريقاً. (فالأيام) لطه حسين صار منهجاً دراسياً في المدارس السودانية. وكذلك (حديث الأربعاء) و(على هامش السيرة) و(شروح سقط الزند) و(مع

المتنبى) و(الوعد الحق) و(دعاء الكروان) و(المعذبون في الأرض) و(الفتنّة الكبرى عثمان) و(الفتنّة الكبرى على وبنوه) و(حديث المساء) وحافظ وشوقي وفي الأدب الجاهلي ومع أبي العلاء المعري في سجنه⁽²⁰⁾. وبالإجمال نقول جوازاً ما من كتاب ألفه طه حسين إلا وقرأ في السودان، فصارت كتب طه حسين مكتبات تمشي بين الناس ثقافة وعِلماً، فناً وأدباً معبرة عن عمق التواصل الثقافي بين الشعبين.

الحاج محمد المدبولي:

أجرى إبراهيم محمد صالح حواراً مع الحاج محمد المدبولي في القاهرة ابتدره بالسؤال عن رحلة المدبولي الطويلة مع عالم الكتب والثقافة، بالقول: تري من هم أكثر الشعوب العربية حُباً للكتاب؟ فرد الحاج مدبولي بأنه في تقديره السودانيون واليمنيين وكذلك الفلسطينيين هم الأكثر حُباً للقراءة والثقافة والفكر الإنساني. وبسؤاله عن تجاربه في إقامة معارض للكتاب في الخرطوم، وتجربته مع القارئ السوداني، رد مدبولي قائلاً: أقمت خمس معارض للكتاب في السودان، وسأغادر غداً السودان للمشاركة في معرض الكتاب المصري والمقام حالياً في الخرطوم، ومعارض في الخرطوم تتسم بالنجاح، والسودان هو البلد الوحيد الذي لا ترجع لي فيه كتب، وكمثال عدد الكتب التي أشارك بها في معارض الخرطوم يزيد أربعة أضعاف ما أشارك به في الدول الأخرى. وبسؤاله عن مشاريعه وأمنيته في الحياة الثقافية في السودان، أجاب: أتمنى أن يكون لمدبولي مكتبة في السودان، وأمل من الجهات المختصة أن تساعدني في ذلك، وكمثال ليت يخففوا علينا في الجمارك حتى يتسنى للمواطن البسيط أن يجد ما يريد من الكتب بأقل سعر، كما أتمنى أن يكون لي تعاون بين المثقفين والكتاب السودانيين وأشيد هنا بمركز الدراسات السودانية بالقاهرة لدوره المرموق، وأتمنى أن أنشر للدكتور منصور خالد. وعن الشيء الذي أثار انتباهه في القارئ السوداني كان رده: القارئ السوداني معروف بحبه للقراءة والاطلاع، وفي أحد معارضي جاء إلى شخص سوداني واشترى كتاباً كثيرة، وأخبرني من كان معه أن هذا الرجل قد باع ذهب زوجته ليشتري الكتب، وختم مدبولي حديثه بقوله: السودان هو البلد الوحيد الذي لا ترجع منه كتبتي⁽²¹⁾.

مصريين أسهموا في نشر ثقافة التواصل:

— عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوربية (1946م) - المرأة في القرآن - سارة (1938) - عبقرية المسيح (1953) - عبقرية محمد (1942) - شعراء مصر - ديوان عابر سبيل - رجال عرفتهم - عبقرية الصديق - عبقرية خالد (1945) - ساعات بين الكتب - يسألونك (1946) - اسلاميات (1989) - أفيون الشعوب (1956) - حياة قلم
— طه حسين: حديث الأربعاء (1922) - الأيام (1929) - على هامش السيرة (1933) شجرة البؤس (1943) - الفتنة الكبرى (1951) - الحب الضائع (1942) - حافظ وشوقي (1933) - ما وراء النهر (1975) - مرآة الإسلام (1959) - مع المتنبي (1936) - دعاء الكروان (1934) - في الشعر الجاهلي (1926) - دعاء الكروان (1934) - المعذبون في الأرض (1950).
— مصطفى لطفي المنفلوطي: العبرات - النظرات - ماجدولين - في سبيل التاج - بول وفرجينى - الشاعر....

- نجيب محفوظ: كفاح طيبة- خان الخليلي-زقاق المدق-بين القصرين-السكرية-الصلب والكلاب-بيت سيئ السمعة- السمان والخريف- دنيا الله- الجريمة-حكايات حارتنا- خمارة القط الأسود....
- يوسف السمان: يا أمة ضحكت- اثنا عشر رجلاً- أرض النفاق- ست نساء وستة رجال- نادية الجزء الأول- نادية الجزء الثاني- العمر لحظه....
- صبحي عبد المنعم: تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى عهد الأيوبيين....
- عبد الرحمن الرافعي: مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال....
- يونان لبيب رزق: الأصول التاريخية ومسألة طابا- مشكلة جنوب السودان- قضية وحدة وادي النيل بين المعاهدة وتغير الواقع الاستعماري....
- بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن): التفسير البياني للقرآن الكريم-القرآن وقضايا الإنسان....
- محمد محمود السروجي: دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث...الخ
- عبد العظيم محمد رمضان: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور....
- محمد عوض محمد: السودان الشمالي سكانه وقبائله-1591م.
- الشاطر بصلي عبد الجليل (معالم تاريخ السودان وادي النيل-9691م)، شوقي عطا الله الجمل: تاريخ السودان وادي النيل-9691م)، مصطفى محمد مسعد (الإسلام والنوبة في العصور الوسطى-6691م).

كتب الأطفال⁽²²⁾:

- وجد في السودان قبل الأربعينات من القرن العشرين من يعتمد على الكتب المصرية في مجال الطفولة كافتناء كتب المعارف الأدبية والفنية والعلمية واللغوية والمعمجية والتقنية، والاعتماد على المقررات الدراسية والمنهجية المصرية، مع تمثل قصص كامل كيلاني- عطية الإبراشي - سعيد العريان، كنماذج قصصية للأطفال السودانيين، وهذه أمثلة لبعض الكتب التي ساهمت مساهمة فاعلة في نشر ثقافة التواصل بين الشعبين، فقد كانت الأوسع انتشاراً والأكثر تأثيراً بين فئات الشعب السودان بمختلف فئاته العمرية:
- عبد الحميد جودة السحار: فتح مكة، قدرة الله - بنو اسماعيل - أهل بيت النبي- المسيح عيسى بن مريم...
 - كامل كيلاني: لؤلؤة الصباح- شهرزاد وشهريار-علي بابا- شمشون الجبار- الملك عجيب- الأمير مشمش- التاجر مرمز....
 - محمد عطية الأبرشي: الراعي الشجاع- السلطان المسحور- البنت والأسد-أطفال الغابة- أميرة القصر الذهبي...
 - أحمد بهجت: الملك طالوت والنهر- أصحاب الجنة... حمدي هاشم حسنين: الأشقاء الثلاثة- المغامرة العجيبة... ثريا عبد البديع: أميرة في بلاد الأقزام...؛ عادل الغضبان:

المغامر الجريء...؛ رشاد كيلاني: الذئب والعنزات السبع...؛ يعقوب الشارون: الشاطر محظوظ... (23).

— حسن عثمان: الجزيرة المهجورة...؛ شوقي حجاب: دق دق وفوفو...؛ منصور علي: حكايات جحا والحمار...؛ عادل الغضبان: الببل....

قالوا عن التواصل:

في تحقيق نشر بصحيفة الخليج الالكترونية، تحدث بعض المثقفين المصريين عن معرفتهم بالثقافة السودانية، بقولهم⁽²⁴⁾:

الكاتب والروائي سعد القرش: أنه قبل حصوله على جائزة الطيب صالح، لم تكن لديه معرفة متكاملة بالثقافة السودانية، لكن عندي معرفة بأشخاص مثل الطيب صالح، وحيدر إبراهيم، ومن الروائيين الجدد رغم انه في الخمسين من عمره «أمير تاج السر»، بينما لا يعرف أي شيء آخر عن السودان.

يواصل الحديث: ذهبت إلى السودان وأستطيع القول أنهم يشعرون بأننا نتجاهلهم، وهذه حقيقة، فالجنوب هنا في مصر مهمش، أما السودان فهو جنوب الجنوب، هناك نوع من الغضب، ولا أقول المرارة، من تجاهل الثقافة المصرية والمثقفين المصريين للثقافة والأدب السوداني، والسودانيون يؤكدون دوماً في نوع من الصمت الجميل أن الإبداع السوداني ليس هو الطيب صالح فقط، وأن هناك أجيالاً أخرى جاءت بعده، في الشعر والقصة والرواية والفكر، ورغم ذلك لم يروا ببوابة القاهرة، أو لعلها موصدة دونهم، وأتصور انه آن الأوان أن تعود مصر لتوجهها الإفريقي. ويتمنى أن يكون هناك تفاعلاً بين الثقافة المصرية والسودانية، إما بنشر إبداعاتهم أو بالزيارات، ويكون هناك تمثيلاً حقيقياً للمشهد الأدبي في السودان، وليس لموظفين ينتقلون بين الخرطوم والقاهرة. ويشير إلى أنه حدث نوع من القطيعة مع العرب منذ أيام «كامب ديفيد»، نجحنا في التغلب عليها بدوافع حقيقية أو استعراضية مع بلدان الخليج والشام والمغرب، إلا السودان والصومال وموريتانيا، فقد ظل هذا البلد على الهامش البعيد، وبالرغم من أن روحنا في يد السودان، فإننا تجاهلنا الجانب الثقافي، مع جوانب أخرى تم تجاهلها في السنوات الأخيرة⁽²⁵⁾.

الكاتبة والروائية أمينة زيدان: حجم معلوماتي عن الثقافة السودانية محدود، فأنا أعترف إلى الثقافة السودانية من خارج مصر حين نخرج إلى أي برنامج دولي في أمريكا أو الصين، تعرفت إلى كتاب سودانيين حقيقيين ولهم تجارب قوية جداً ومثقفين، لكنهم غير معروفين في مصر، لكن بالنسبة إلى الكتب قرأت في مطلع حياتي أعمالاً كثيرة لكتاب سودانيين، لأنني كنت أعد مصر والسودان بلداً واحداً، وأتصور أننا في الفترة المقبلة في حاجة إلى اندماج بين الواقع الثقافي في مصر والسودان، فليسوا هم فقط من يحتاجون إلينا، وإنما نحن أيضاً في حاجة إليهم، ويجب أن ندرك أهمية التواصل على مستوى الثقافة لبلد شقيق وجار تربطنا معه لغة وحضارة واحدة ويربطنا نيل وعادات وتقاليده وحتى التراث الفرعوني والأدب المصري القديم كان متفاعلاً مع السودان باعتباره كان جزءاً من الواقع، نحن وطن واحد، ويجب أن يكون هناك فهم أكبر لهذا.

حجم التواصل الثقافي بين مصر والسودان غير كاف، وغير مرض للطرفين سواء للمصريين أو السودانيين وهذا لسبب بسيط وواضح جداً أننا أصبحنا نتجه للأماكن الثقافية القادرة على الدفع، فتجد دوماً معينة قبله للمثقفين تمنح الجوائز وتدفع مقابلها جيداً، وبها العديد من المؤتمرات والملتقيات، لكن بالنسبة لنا السودان فقير، ولكن في السودان كتاب عالميون معروفون في الخارج أكثر مما نعرفهم في مصر، بعضهم عاش في مصر، وبعضهم عاش في الخارج، وكل الناس يعرفون إصداراتهم إلا نحن. وتقترب أمينة زيدان ضرورة تفعيل الأنشطة الثقافية والتبادل الثقافي بوجه خاص بين مصر والسودان⁽²⁶⁾. واقع الأمر يشير إلى أن السنوات الأخيرة شهدت تزايد مؤشرات اهتمام الكتاب والأدباء العرب بالثقافة السودانية، فقد أصدر قبل سنوات قليلة، الناقد المصري فؤاد مرسى كتاباً عن القصة القصيرة في السودان، استطاع فيه جمع نماذج لأجيال مختلفة من كتاب السرد القصصي. وقد أسهم هذا الكتاب، بلا شك بالتعريف بالقصة السودانية، فيجب علينا ونحن نتداول في إسهام الكتاب المطبوع في نشر ثقافة التواصل الثقافي بين الشعبين، ألا نغفل أن ثمة مقدرة ومعتبرة من أشقائنا المصريين قد ألفوا كُتُباً تركت انطباعاتاً جميلة في نفوس كل من قرأها من السودانيين، فصار لها دوراً محورياً في تشكيل ثقافة الغالبية من السودانيين منذ أقدم الأزمان وحتى الوقت الحاضر إذ لا يزال الكتاب المصري يحتل مساحة واسعة في الشأن الثقافي في السودان⁽²⁷⁾.

الأدب السوداني:

توجهت روز اليوسف إلى «عمر سيد» صاحب مكتبة «عمر بوك ستورز» الذي أوضح أن الكتب السودانية الأدبية فقط هي الأكثر شيوعاً، أما الكتب الأخرى فتكون ذات عناوين عامة لا تعبر عن توجه محدد، والأكثر إقبالاً من الكتب الأدبية هي الرواية، وبالأخص «موسم الهجرة إلى الشمال» للطبيب صالح وأعماله كلها عموماً، أيضاً الدواوين الشعرية للشاعر السوداني سيد أحمد الحردلو، كذلك الكتب التاريخية عن السودان، وما بها من صور تكون محبة للمصريين، فيما عدا ذلك من الكتب الأخرى فإن السودانيين فقط هم المهتمون بها، وأكثر شريحة مهتمة بالكتب السودانية هم «الشباب». وفيما يخص الترويج أوضح أن المصريين لديهم مشكلة، نابعة من أنهم لا يرون سوي أن الأدب السوداني هو «الطيب صالح»، علي مستوي آخر للمشكلة لكنها بنسبة ضئيلة، مشكلة اللهجة السودانية التي يُكتب بها العمل أحياناً ولا يفهمها المصريون، أيضاً اهتمام المصريين بدار النشر الصادر عنها الكتاب، فلو أن هذا الكاتب السوداني أياً ما كان اسمه أو المجال الذي يكتب فيه طالما كتابة صادر عن دار نشر معروفة محلياً أو عربياً أو عالمياً فهي ضمان لبيع الكتاب⁽²⁸⁾.

الناشر «محمد هاشم» صاحب «دار ميريت» الذي بدأ الاهتمام بالأدب السوداني مؤخراً، يتنبأ لعدد من الكتاب السودانيين بالشهرة هنا في مصر مثل الروائيين حمور زيادة، خالد عويس وآخرين، عن بعض الكتب التي أنتجتها دار ميريت يقول هاشم: «لدي مجموعة قصصية - حوار الظلال» لعثمان أحمد عثمان وقد أرجع هاشم أسباب الفجوة الثقافية بين مصر والسودان، إلي

الأنظمة السياسية، لكن علي مستوي الشعوب لا يوجد علي الإطلاق أية مشكلة أو حساسية بين المصري والسوداني، واختتم حديثه قائلاً: إنما ومهنتي الصدق السودانيون هم أقرب الناس لنا وهم أشقاء بالفعل وهي حقيقة تاريخية معروفة⁽²⁹⁾.

الكتاب السوداني:

يقول أمجد محمد سعيد: إن الكتاب السوداني والمؤلف السوداني يطاول في قامته أطول القامات الإبداعية في الوطن العربي والعالم الاسلامي، وله من خصوصية الأرضية الإبداعية ما يُحقّق غداً واضحاً في جميع فنون الإنتاج الثقافي والفكري. ولكن ما زال يحتاج إلى عملية ثورية لإيصال هذا النتاج الفكري الثرّ إلى المتلقين في كل مكان داخلياً وخارجياً⁽³⁰⁾.

أخذاً في الاعتبار أن قطاعاً كبيراً من الشعب المصري لم يهتم بالثقافة السودانية وجب علينا ونحن نبحت في إسهام الكتاب المطبوع في نشر ثقافة التواصل الثقافي بين الشعبين، ألا نغفل أن ثلّة مُقدّرة ومعتبرة من أشقائنا المصريين، ألفوا كتباً لعبت دوراً أساسياً في تشكيل ثقافة الغالبية من السودانيين منذ أقدم الأزمان وهي ثقافة تحسّدهم عليها كثير من الشعوب الأخرى. حتى «اشتهر» السوداني من بين كثير من الشعوب أنه الأكثر استعداداً على تلقي ثقافات الآخرين والتميّز بين الجيد والردّيء منها من غير أن يوصد بابه أمام ثقافة بعينها، تاركاً الباب مفتوحاً لكل ثقافة أن تُقدّم نفسها وتُثبت وجودها من خلال الكتب المطبوعة المطروحة للعرض. حيث ثبت بمرور الأيام أن الكتاب المصري هو الأكثر حظاً ووفرة ومقدرة على الاستمرار من بين جميع الكتب. من ثم فإن المكانة التي بلغها الكتاب المصري ليس لأنه ارتبط فقط بالجوار الجغرافي ولكن بالارتباط التاريخي والوجداني الشعبين من جهة، ولأن الكتاب المصري أقرب إلى مزاج القارئ وذوقه وطبعه ولأنه استطاع أن يُعبر بوضوح عن كثير من الحاجات الثقافية التي يطلبها القارئ أو المتلقي السوداني، من جهة أخرى.

الكتاب السوداني في المكتبات المصرية:

من الملاحظات المهمة أن الكتب السودانية الموجودة بالمكتبات المصرية لا يمكن مقارنتها من حيث عددها بعدد أية كتب مصرية موجودة في بضعة رفوف مكتبة من المكتبات السودانية أو مكتبة منزلية صغيرة، ومن السهل حصر عددها ومعرفة عناوينها والمكتبات الموجودة بها. وأكثر هذه الكتب على قلتها في التاريخ والعلاقات السياسية فمنها: الحركة المهدية وانعكاساتها على العلاقات المصرية السودانية، ولذلك فليس من الغرابة في شيء إن لم يجد المرء كتاباً سودانياً من بين قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في مصر. مما يعني أن الكتاب السوداني لم يجد القليل من الاهتمام الذي وجده وظل يجده الكتاب المصري في السودان. ورغم الشعور بالألم من هذا الوضع الغريب للكتاب السوداني في مصر والذي جعله غريباً في دياره وبين أهله على الدوام، إن هذا لم يغيّر من موقف السودانيين من الكتاب المصري ولم يؤثر على التواصل الثقافي بين الشعبين من خلال الكتاب المطبوع.

كتاب سودانيين:

الروائي العالمي الراحل «الطيب صالح» أول من حمل مشعل السرد السوداني، وجعله معروفاً في الأوساط العربية، حيث قام بتقديمه الى الكاتب الصحفي المصري «رجاء النقاش»، كما تمت ترجمة أعمال «الطيب» لما يفوق أربعين لغة، وقد خرج معظم كتاب السرد من معطف الطيب صالح وان لم يكونا صدى له، فقد تأثر به الشاعر «ابراهيم اسحق»، الذي سبق كتاب امريكا اللاتينية في الكتابة «بالواقعية السحرية والفتازيا»، وهناك «عيسى الحلو» و«عثمان الحوري» و«محمد مهدي بشري» و«مبارك الصادق» و«نبيل غالي». ثم يلي هذا الجيل «بشري الفاضل» و«أمير التاج»، الى جانب العديد من كتاب السرد الذين لا يمكن حصرهم والذين برعوا في كتابة القصة القصيرة. ويعود توارى الأدب السوداني وعدم ظهوره في الساحات العربية الى عدة أسباب منها ضيق مساحة انتشار المطبوعات السودانية، والمجموعات القصصية خاصة، والذي يعود الى عدة أسباب منها ضيق مساحة انتشار المطبوعات السودانية، والمجموعات القصصية خاصة، والذي يعود إلى أزمة النشر التي لازمت مسيرة الإبداع السوداني منذ خمسينات القرن العشرين.

في الحوار الذي أجري معه ذكر فيصل مصطفى إن السودانيين يعرفون أدق التفاصيل عن مصر، بينما لا يعلم المصريون شيئاً عن السودان، وهذا ما كافحت من أجله منذ مجيئي الى القاهرة أواخر عام 2005م، علماً بأن السودان يكتظ بالشعراء المحيدين في الخرطوم بينما ينتشر العديد منهم في بلاد المهجر⁽³¹⁾.

صور شاب سوداني علاقته بمصر في رواية حكى فيها ذكريات حياته في القاهرة مبينا ارتباطه بموطنه الأصلي السودان، جسدت الرواية روابط الثقافة والأدب بين الشعبين. سماها « الحب من طرف ثالث» وكانت بداية إصدارات الناشط «ياسين سليمان» الأدبية، مكث يسن خمس سنوات في القاهرة ينتقل بين شوارعها وإحيائها الشعبية وخاصة الأماكن التي يكثر فيها تواجد السودانيين مثل (عابدين - فيصل- الهرم- مصر الجديدة- ومدينة نصر، بجانب مقاهي وسط القاهرة). الرواية لم تفرق في فصولها العشرة بين القاهرة والخرطوم وتناولت أحداثها بين المدينتين وكأنهما في بلد واحد، كما أنها عكست واقع السودانيين في القاهرة وارتباطهم بها، جمع فيها الكاتب الشاب بين الأمثال والأشعار والأغاني المصرية والسودانية المتداولة في الشارع مؤكدة عمق التواصل الثقافي والأدبي بين الشعبين⁽³²⁾. ولعل هذه واحدة من روايات لم يكتبها آخرون عاشوا عيشة ياسين في القاهرة، ولو أنهم كتبوا لأثروا المكتبة المصرية بكثير من الروايات الأدبية السودانية التي تعكس قوة الرباط الوجداني الفطري بين الشعبين الشقيقين.

يقول بكرى الصائغ: في زيارتي الأخيرة للقاهرة قمت بزيارة لمكتبة «المديولي» أشهر مكتبة بالقاهرة، وهناك اقتنيت أربعة كُتب تاريخية عن السودان وكُتُبها مصريون.. اسم الكتاب الأول (مصر والسودان: الانفصال، الكاتب: محسن محمد).. والكتاب الثاني باسم (الصحافة السودانية تاريخ وتوثيق: 1899 - 1989، الكاتب: الدكتور عبدالفتاح عبداللطيف).. والكتاب الثالث هو (العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي، الكاتب الدكتور عبدالفتاح عبدالصمد)..

والكتاب الأخير هو (دراسات في تاريخ العلاقات المصرية السودانية 1954-1956، الكاتبة: الدكتورة نوال عبدالعزيز مهدي)⁽³³⁾.

الخاتمة:

من يطلع على إسهام الكتاب المطبوع في نشر ثقافة التواصل الثقافي بين شعبي وادي النيل من خلال المعلومات التي وردت في ثنايا البحث يدرك أن الكتاب المطبوع في الفترة الزمنية موضوع البحث، تحول من مجرد كونه وعاء معرفيا حاملا في ثناياه ما كان يبحث عنه الشعبان ليتعرف كل منهما على الآخر عن قرب، إلى أقوى عامل من عوامل توثيق الصلات الثقافية والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين شعبي الوادي، فعن طريقه اتسعت دائرة المعرفة وانتشرت وقويت العلاقات الأخوية وتوطدت.

النتائج:

- لعب الكتاب المطبوع أدواراً حاسمة في تقوية وأواصر العلاقة الأخوية بين الشعبين الشقيقين من خلال قنوات التواصل الثقافي.
- الكتاب المصري أقرب إلى مزاج القارئ وذوقه وطبعه لأنه استطاع أن يُعبر بوضوح عن كثير من الحاجات الثقافية التي يطلبها القارئ أو المتلقي السوداني.
- الكتب السودانية الموجودة بالمكتبات المصرية لا يمكن مقارنتها من حيث عددها بعدد أية كتب مصرية موجودة في بضعة رفوف مكتبة من المكتبات السودانية أو مكتبة منزلية صغيرة.
- رغم أن الكتاب السوداني لم يجد القليل من الاهتمام الذي وجده وظل يجده الكتاب المصري في السودان إلا إن هذا لم يغير من موقف السودانيين من الكتاب المصري ولم يؤثر على التواصل الثقافي بين الشعبين من خلال الكتاب المطبوع.
- يعتبر التواصل الثقافي الضامن الأقوى لاستمرار العلاقة الأخوية الأزلية بين شعبي البلدين وخاصة من خلال الكتاب المطبوع رغم اختلاف المواقف السياسية بين البلدين تجاه بعض القضايا الإقليمية والدولية.

الهوامش:

- (1) صحيفة الوطن السودانية: هل تعود الدولة إلى دعم الكتاب والثقافة والمؤلفين.
- (2) الدميري: أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الشافعي (ت ٨٠٨هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، 1424هـ م، ص 320.
- (3) مجدي أحمد حسين: القاهرة، 5 فبراير 1997م
- (4) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ م، ص 726؛ زهير الخويلدي، جمعية التربية العربية وحوار الثقافات . <http://www.atida.org/makal.php?id=196>
- (5) زهير الخويلدي: جمعية التربية العربية وحوار الثقافات.
- (6) هانس بيتو مارتين: فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية و الرفاهية. ترجمة د. عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم أ. د: رمزي زكي. سلسلة عالم المعرفة 28 أكتوبر 1988م.
- (7) عبد المجيد عابدين: دراسات سودانية، مجموعة مقالات في الأدب والتاريخ، جامعة الخرطوم. دار التأليف والترجمة والنشر، 1972م. ص 73.
- (8) عبد الملك منصور حسن المصعبي: إدارة التنوع الثقافي: من الحفاظ إلى التزكية، ورقة قدمت لندوة « التنوع الثقافي و الحداثة: حوار بين الأقاليم » نظمتها اليونسكو في باريس في 6-7/5/2004م.
- (9) هيئة الأوقاف المصرية: جمهورية مصر العربية | <http://hyatelawqaf-eg.org/sub%20pages/HistoryInfo.htm>
- (10) رباب طه عبد الرحمن. التاريخ 13:49:42 2011\1\9 <http://wadi.sudanradio.info/arabic/modules/news/print.php?story=2852>
- (11) سورة الرحمن: 1-4.
- (12) لينا عمر بن صديق: البرامج التربوية للأطفال المضطربين لغوياً من ذوي الاحتياجات الخاصة، بحث أدبي تحليلي، منتدى أطفال الخليج، قسم الدراسات والأبحاث، 2008م.
- (13) إدوارد ساير: اللغة مقدمة في دراسة الكلام، ترجمة المنصور عاشور. تونس: الدار العربية للكتاب، 1997 م، ص 155.
- (14) فليفل: السيد علي أحمد، باز، كرم الصاوي: العلاقات المصرية السودانية عبر العصور، 18-19 مايو 2009م، جامعة القاهرة. معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ص 497.
- (15) أنور محمود زناقي: اللغة ودورها في التواصل الحضاري بين الشعوب، دورية كان التاريخية، سبتمبر 2011م/1432هـ ع 13، ص 74.
- (16) هيئة الأعمال الفكرية: السودان، الخرطوم. <http://www.fkria.org/news.php?action=show> 29%&newsid=138#myGallerypicture%283
- (17) عبد المجيد عابدين: دراسات سودانية-مجموعة مقالات في الأدب والتاريخ. جامعة الخرطوم. دار التأليف والترجمة والنشر. ط2، 1972م.

- (18) صحيفة المصري اليوم: يونان لبيب رزق.. مؤرخ الواقعية.. وديوان الحياة المعاصرة.
(19) <https://www.almasryalyoum.com/news/details/1888777>
- (20) حسن نجيلة: ملامح من المجتمع السوداني، الدار السودانية للكتب، 1972م.
(21) صحيفة ستوب <http://forum.stop55.com/69250.html> news.stop55.com
(22) صحيفة الصحافة <http://www.alsahafa>
- (23) جميل حمداوي: أدب الأطفال في السودان. <http://dargul.com/vb/showthread.php?t=59>
- (24) <http://www.noorsa.net>
- (25) <http://www.alkhaleej.ae/portal/850d9d033-c1a-4203-b5b3-a30d155eca7d.aspx>
- (26) صحيفة الرائد السودانية بتاريخ 2011/08/30.
- (27) شؤون ثقافية | إشعاع عربي متزايد للثقافة السودانية | <http://www.dw-world.de/dw/article/01493705400.htm>
- (28) شبكة الأخبار العربية | العلاقات التاريخية ما بين مصر والسودان | <http://www.anntv.tv/new/showsubject.aspx?id=22145>
- (29) تغريد الصبان: مجلة روز اليوسف. العدد - 1802 الثلاثاء 17- <http://www.rosaonline.net/Daily/News.asp?i=112072>
- (30) تغريد الصبان: مجلة روز اليوسف المرجع السابق.
- (31) أمجد محمد سعيد. الثقافة العربية. تذكارات سودانية عن معارض الكتاب في الخرطوم ؟
<http://www.akharalyoumsnet/modules>
- (32) <http://www.anntv.tv/new/showsubject.aspx?id=22145> .
- (33) <http://www.as7apcool.com/vb/showthread.php?t=108943>. <http://www.rosaonline.net/Daily/News.asp?i=115822>
- (34) بكري الصائغ :- المكتبة السودانية-المقالات - 22 يونيو 2011: الذكرى الـ 126 على وفاة أحمد المهدي .

المصادر والمراجع:

- (1) الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الشافعي (ت ٨٠٨هـ):
حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، 1424هـ.
- (2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي:
لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- (3) أنور محمود زناقي: اللغة ودورها في التواصل الحضاري بين الشعوب، دورية كان التاريخية،
سبتمبر 2011م/1432هـ ع13.
- (4) إدوارد ساير: اللغة مقدمة في دراسة الكلام، ترجمة المنصور عاشور . تونس: الدار العربية
للكتاب، 1997م.
- (5) تغريد الصبان: مجلة روز اليوسف، العدد -17 1802 الثلاثاء-
- (6) حسن نجيله: ملامح من المجتمع السوداني: الدار السودانية للكتب، 1972م.
- (7) الطاهر مصطفى محمد صالح المدن وثقافة التواصل في السودان (1820-1504م). ورقة قدمت
في مؤتمر جامعة فلاديفيا الدولي في الأردن.
- (8) (عبد المجيد عابدين: دراسات سودانية، مجموعة مقالات في الأدب والتاريخ، جامعة الخرطوم.
دار التأليف والترجمة والنشر، 1972م.
- (9) عبد الملك منصور حسن المصعبي: «إدارة التنوع الثقافي: من الحفاظ الى التزكية»، ندوة
«التنوع الثقافي والحداثة: حوار بين الأقاليم. اليونسكو. باريس ، 6-7/5/2004.
- (10) فليفل، السيد علي أحمد، باز، كرم الصاوي: العلاقات المصرية السودانية عبر العصور، 18-19
مايو 2009م، جامعة القاهرة. معهد البحوث والدراسات الافريقية.
- (11) هانس بيتوماترين. فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية. ترجمة د.عدنان عباس
علي، مراجعة وتقديم ا.د، رمزي زكي. سلسلة عالم المعرفة 238|أكتوبر 1988.
- (12) المكتبة السودانية: المقالات _ بكرى الصائغ _ 22 يونيو 2011
- (13) صحيفة المصري اليوم: يونان لبيب رزق.. مؤرخ الواقعية.. وديوان الحياة المعاصرة.
- (14) أمجد محمد سعيد. الثقافة العربية. تذكارات سودانية عن معارض الكتاب في الخرطوم؟
<http://www.akharalyoumsdnetmodules>
- (15) شبكة الأخبار العربية|العلاقات التاريخية ما بين مصر والسودان
<http://www.anntv.tv/new/showsubject.aspx?id=22145> .a

(16) جميل حمداوي: أدب الأطفال في السودان | <http://dargul.com/vb/showthread.php?t=59>

(17) جمهورية مصر العربية، هيئة الأوقاف المصرية

<http://hyatelawqaf-eg.org/sub%20pages/HistoryInfo.htm> .a

(18) أوائل المطبوعات العربية بداية تاريخ جديد لثقافة الأمة -الأحد 4 إبريل 2010 |
القراءات: -373 شوقي | كليب | يحي.